

# صاحب الجلالة يستقبل
# المشاركين في ندوة «الصحوة الإسلامية»

**استقبل أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، الذي كان محفوفا بصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد بالقصر الملكي بالصخيرات السادة العلماء المغاربة، والضيوف الذين وفدوا من مختلف أنحاء العالم للمشاركة في ندوة «الصحوة الإسلامية» المنظمة في إطار الجامعة الصيفية المنعقدة بالدار البيضاء، والتي تقدمت بتقرير عن أشغال الندوة إلى جلالة الملك، وقد ألقى أمير المؤمنين بهذه المناسبة الكلمة السامية التالية :**

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة والسيدات :

لم يبق لي الكثير لأقوله بعدما استمعت وقرأت تدخلاتكم المتبوعة والمشفوعة بنقاشكم.

وقد سررت ولله الحمد كما سر كافة المسلمين هنا ببلدكم وخارج المغرب بالحماس الذي تطرقتم به للمواضيع المختلفة والعميقة التي كانت محور لقائكم.

إن هذا العمل له أهمية كبيرة لا تنحصر في حجمه وحجم مواضيعه فحسب، بل تخترق الأجواء والبحار والقارات لتوصل كلامكم ودراساتكم إلى إخوانكم في الدين وفي الله مسلمين كانوا أو غير مسلمين.

نعم كما أن لكل بشر حينما يدخل معمعة وكما أن لكل داخل دهشة فلكل جماعة كذلك دهشة ولاسيما الإسلام وما هو حول الإسلام وما هو كائن في العمود الفقري للإسلام، هذه كلها مواضيع تكاد تكون مواضيع نارية لا يمتلكها ولا يأخذ بنواصيها إلا من كان من الذين قال فيهم الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام : «قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم».

أريد أن أنطلق في هذه الكلمة الوجيزة جدا من آية وحديث : الآية وهي قوله سبحانه وتعالى «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» والحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ «تركتكم على المحجة البيضاء كتاب الله وسنتي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا ضال».

إذن نرى من خلال هذه الآية ومن خلال هذا الحديث أن لاخوف على الإسلام من الله سبحانه وتعالى بل يجب أن نخاف على الإسلام من المسلمين أنفسهم. لماذا؟ أولا لأنه مع الأسف في العصور التي نعيشها أصبح هناك فرق زمني وفرق مادي بين البيت والمدرسة، الشيء الذي لم يكن في المجتمعات القديمة، وحتى في المجتمع الذي تربيت فيه كنا نفتح أعيننا في الصباح ونرى أهلنا يصلون الصبح بعد ذلك نذهب للكتاب نحفظ دون أن نفهم ولكن نحفظ، وبعد ذلك نغير اللباس ونترك قلم القصب لنأخذ القلم العصري لنتلقى الدراسات في شتى المواضيع وبشتى اللغات. وهكذا كان الأستاذ والمربي متفقين دون أن يتفقا. متفقان على أن الإسلام قبل كل شيء خلق وسلوك والإسلام هو أولا «الدين المعاملة»، والإيمان هو أن تعبد الله كأنك تراه والتقوى وهي من الخوف، أن تخاف ربك معنى أن تتساءل كل يوم عما فعلت وأن تسائل وتحاسب ضميرك. وهناك بعض المسلمين مع الأسف

الذين وإن كا نوا علماء لم يعطهم الله سبحانه وتعالى حكمة التربية . فالعلم شيء والتربية شيء . ولا أدل على هذا من قول النبي ﷺ «الدين يسر ولن يشاد أحدكم هذا الدين إلا غلبه» ، فمن العلماء والأساتذة والموجهين الذين يريدون أن يطبقوا على أبنائهم وطلبتهم وتلامذتهم جميع المعلومات التي يعرفونها عن الصلاة وعن أركان الصلاة وعن الصيام وعن أركان الصيام وعن العبادات التي قبل كل شيء يجب أن تكون غريزة سامية فينا . تلك العبادات التي تثقل كاهل بعض الشباب وكلنا كنا شبابا ، فمن منا منذ بلوغه لم يصل وقطع وصلى ثم قطع وصلى ثم قطع إلى أن هداه الله سبحانه وتعالى أن يأتي الأركان الخمس للصلاة كل يوم . وهذا الإستقرار في العبادات يجب أن يكون مدعوما بمرونة في التلقين بتفهيم الطالب والتلميذ ولاسيما أننا إما لنا أولاد وبنات يدرسون في الخارج وإما لنا جاليات بأكملها تعمل في الخارج في دول غير إسلامية . فإذا لم يلقنوا منذ صغرهم الثوابت والرواسخ وإذا نحن أثقلنا دماغهم بمثل «قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم» . قال النحاة هل النملة ذكر أم النملة بمعنى جنس النمل .

هذه مسألة طيبة وهذا دليل على أن فقهاءنا أخذوا يدرسون كل شيء حتى وصلت بهم الدراسة أن يدرسوا ما قالته النملة .

ولكن هل من حقنا ومن واجبنا أن نثقل كاهل وأذهان الطلبة والتلاميذ وحتى أولئك الذين يقرأون تفسير القرآن أو الذين يقرأون البلاغة بهذا .

فلهذا أقول أخاف على الإسلام من المسلمين ، أما الله سبحانه وتعالى فهو حافظ كتابه . والرسول ﷺ محصن سنته . إلا أن المسلمين مع الأسف أصبحوا غير كفاة للتربية .

فعلينا إذن حضرات السادة والسيدات في الجامعة الصيفية للسنة المقبلة إن شاء الله أن نهيء المواضيع حول كيف يكون الشاب المسلم والشابة المسلمة .

كيف يمكن للمعلم وللمربي أن يملأ دماغ الذكر والأنثى دون إتخام ، كيف يجعلهم قادرين على إمتلاك الملكة ، تلك الملكة التي هي غريزة إما تريك في دماغك الضوء الأخضر أو الضوء الأحمر إن لم يكن الضوءالأصفر الذي يعني التشكك وآنذاك «إسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» .

فخوفي كل الخوف هو على الذين سيخلفوننا . ما هي نوعية الإسلام الذي سيعتنقونه وسيدافعون وسيكتبون عنه وسيلقنونه أبناءهم وأبناء أبنائهم؟ فلي اليقين أنكم كلكم كأساتذة وكآباء محتارون أمام هذا السؤال .

قال النبي ﷺ«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .

فإذا كان الإنسان مخلقا بأخلاق النبي ﷺ الذي قال فيه الله «وإنك لعلى خلق عظيم» ، لي اليقين أنه بهذه المرآة المتوالية يرى المسلم نفسه في النبي ﷺ بكل تواضع . ويرى السدة النبوية كصنيعة لله سبحانه وتعالى خلقا وخلقا . إذا نحن سرنا تدريجيا في التربية وفي التلقين لي اليقين أننا سنصبح مطمئنين على هذا الدين الذي يريد البعض أن يظهره دينا محجرا ينحصر في التوحيد وفي الفقه . والحالة هذه أن الاسلام والحمد لله أوسع بكثير إلى حد أننا سمعنا أساتذة محترمين عظام يقولون الفقه ينقل ولا يتعقل كيف ذلك؟ إذا كان هناك شيء يقبل التطور بل يتطلب الاجتهاد والمرونة فهو الفقه ، ونراهم يقولون والتوحيد يتعقل ولا ينقل وهنا يجب أن يجدد الفقيه الذي يتعاطى للدروس وللمواد الدينية دون الحديث عن البلاغة والآداب والتاريخ والعروض وغيرها . فبالنسبة لنا ولكم ليس هذا هو الدين الذي



يجب أن نسميه الإسلام. فالإسلام دين اجتهاد والإسلام دين رموز، فمثلا حينما نكون مرضى أو على سفر أو على جنابة ولا نجد الماء فيجب علينا التيمم. والتيمم هو مسح الوجه واليدين الى المرفقين. فهل هذا التيمم هو الذي سيغسلنا من العرق أو مما وقع لنا من مضاجعة زوجاتنا، هل هو الغسل الذي سنغسل به ذاتنا من رأسها إلى رجلها؟ كلا هذا مجرد رمز إذا جاء وقت الصلاة وحان لقاء المسلم مع ربه ومناجاة المسلم لربه ولم يجد ماء فليتطهر رمزيا حتى يستدبر ما كان عليه ويستقبل مناجاة الله. فالقرآن والدين كله رموز.

بالطبع يجب علينا أن نتتبع شيئا ما ونتحلى بشيء ما من الصرامة حتى لا نترك المتلاعبين يتلاعبون، ولكن يجب علينا دائما أن نرجع إلى دافع المشرع وأسباب التشريع سواء كانت أسباباً ظرفية فقط أو كانت أسبابا قارة في جميع الأزمان وفي جميع المناخات وفي جميع صور الحياة.

وبهذه المناسبة أريد أن أذكر لكم حضرات السادة والسيدات موضوعا طالما اشتاقت نفسي إلى أن نطرحه بكل وضوح وبكل أخوة وبكل إيمان. وهو لماذا لم نعمل في هذه السنة إلى السنة المقبلة إن شاء الله في شهر غشت على التفكير في التقريب بين السنة والشيعة؟ لماذا والحالة هذه تساكنا نحن السنيين والشيعيين ثلاثة عشر قرنا. ولماذا ابتداء من منتصف هذا القرن أصبح الشيعة والسنة يتطاحنان ولا يتعارفان؟ فإذا انبثق من جامعتكم الصيفية هذه حوار محكم لطيف مقنع متسم بالتساكن والتسامح سواء من هنا أو من هناك، لي اليقين أن كثيرا من مخاوفنا على الإسلام من الإسلام سينمحي نهائيا.

وثانيا سنكون بهذا قد امتثلنا لأمر الله سبحانه وتعالى في كتابه حينما يقول «ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاه إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذوو حظ عظيم».

ففكروا معي حضرات السادة والسيدات في الموضوع التربوي بكيفية عامة في تقريب الإسلام الحقيقي من المسلمين، في إعطاء فلذات أكبادنا درعا من الإيمان ليحصنوا أنفسهم في حياتهم، هذه الحياة التي جعلت المسلم لا يعيش بالضرورة في مجتمع إسلامي، والمسلمين الذين يعيشون في مجتمعات غير إسلامية لا يثبتهم على دينهم ولا يجعلهم مكرمين لدى المجتمع غير الاسلامي الذي يعيشون فيه إلا سيرتهم الأخلاقية والمذهبية تلك الأخلاق التي هي العمود الفقري والروح الحقيقية للديانة الإسلامية التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يختم بها دياناته.

10 وأخيرا عندي نصيحة حاولوا رعاكم الله ووفقكم وكثر من أمثالكم أن تتفتحوا على اللغات الأجنبية لتتمكنوا أكثر من المقارنات الفلسفية والقانونية بين الديانات. ولي اليقين أن من قرأ منكم الإنجيل والتوراة كما وقع لي عندما كنت في المنفى ولم أكن ألقى ما أشغل به نفسي خلال سنتين ونصف من المنفى فقرأت الإنجيل والتوارة. أولا قراءة الإنجيل والتوارة جعلتني مسلما أكثر مما كنت عليه ولكن قراءة الإنجيل والتوارة كذلك قربت بيني وبين إخواني في الله اليهود والنصارى. إذن عليكم أن تتعلموا لغة أجنبية وذلك تبعا للحديث النبوي الشريف الذي لم يكن صريحا ولكن يستفاد ذلك منه ضمنيا عندما يقول النبي ﷺ «أطلبوا العلم ولو في الصين» بمعنى إنه إذا ذهبتم إلى الصين ستدرسون العلم باللغة الصينية وليس باللغة العربية. وقبل أن تصلوا الصين لتتلقنوا العلم باللغة الصينية ستمرون على الهند وعلى التبت. إذن فليست الأجواء الفكرية ولا الجغرافية وحدها التي يجب أن تكتسح من لدن المسلم بل التعرف على أنشطة فكرية أخرى وعلى مناخ إجتماعي آخر، وأخيرا على لغة أو لغات أخرى.

إن مقداري الضئيل والمتواضع من العلم لا يسمح لي أبدا بأن أزيد ولو كلمة واحدة في خطابي



هـذا لأنني ربما تجاوزت حـدود التـواضع وأريد أن أجـازيكم الجزاء الجزيل على مـا قمتم بـه وعلى مـا ستكتبون حينما تـرجعون الى أوطـانكم عن هذه المبـادرة التي عرفت بعضكم على بعـض وشدت أواصر الأخوة الإسلامية بينكم .

وأملي أن نلتقي السنة المقبلـة ولدينا مـوضوعان إثنـان أولا: مناهج التربية الإسـلامية المبشرة غير المنفرة ، تلك التـي تـطبع الصبي والصبية منـذ أن يبدءا في فهم بعض المسـائل . وثانيـا مجالا و إشارات لربط الحوار بين علماء السنة وعلماء الشيعة حتى يرجع هذا الدين دين الأخوة كما هو وحتى نتعايش مع إخواننا الشيعـة كما تعايشنا معهم مدة ألف وثلاثمائة سنـة . فالذي جعلنا نتعـايش معهم ألفا وثلاثمائة سنة سيجعلنا قـادرين على أن نلتقي من جديد وأن نخلق الصحوة العميقة الحقيقيـة للدين الإسلامي الحنيف .

أعاننـا الله جميعا وجعلنا عنـد حسن ظن الجميع وجعلكم وإيانا في مستـوى المسؤوليات الـدينية والروحية الملقاة على عاتقنا جميعا .

والسلام عليكم ورحمة الله .

**13 صفر 1411 ـ 4 شتنبر 1990**